سلسلة المعارك و الغزوات
(٢)

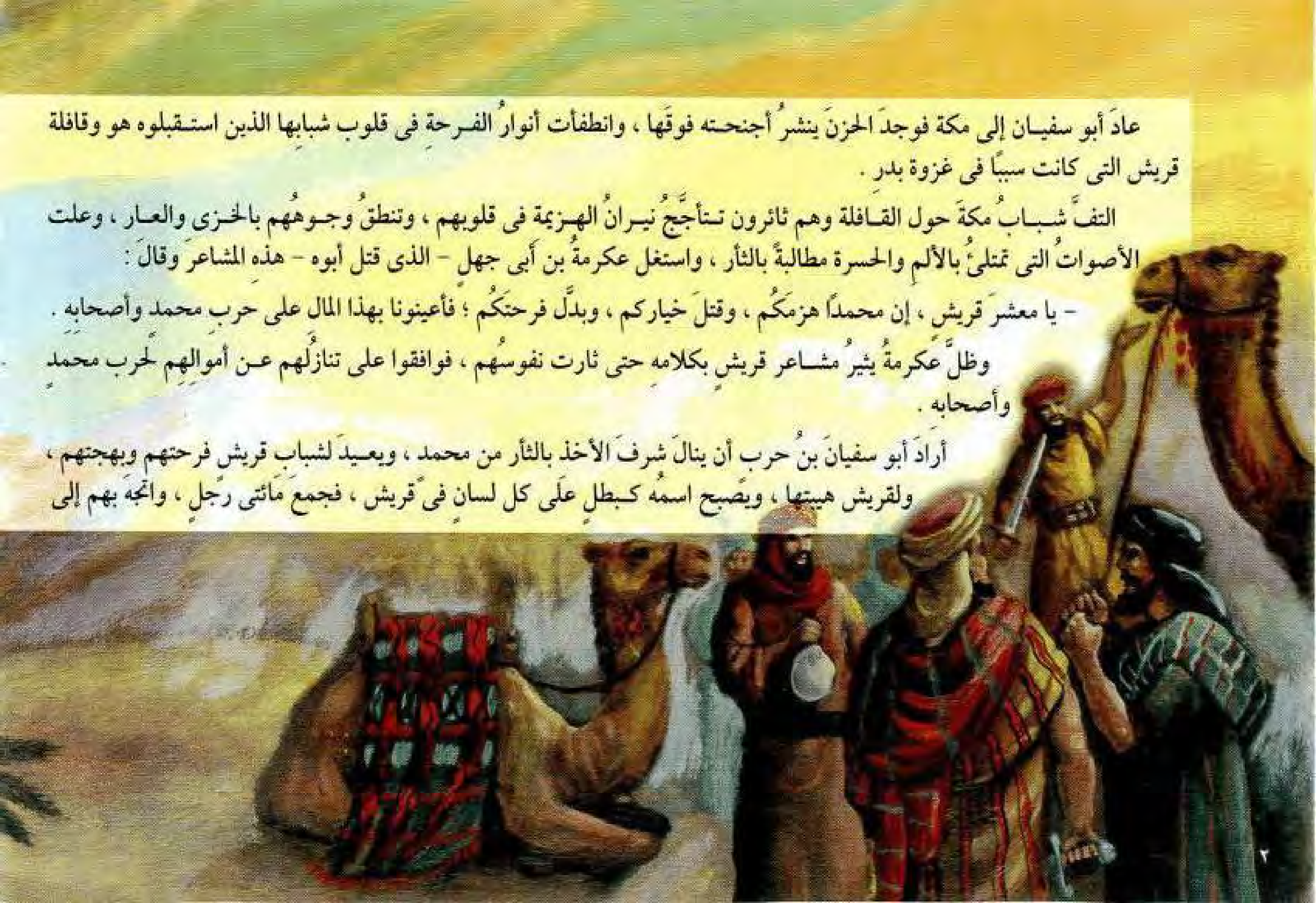
غزوة أحد

إعداد
سمير حلبي

رسوم
ماهر عبد القادر



٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة. ص.ب: (٤٢٥) الدقي



عادَ أبو سفيان إلى مكة فوجدَ الحزنَ ينشرُ أجنحته فوقَها ، وانطفأت أنوارُ الفرحةِ فى قلوبِ شبابِها الذين استقبلوه هو وقافلة قريش التى كانت سببًا فى غزوة بدرٍ .

التفَّ شبابُ مكةَ حول القافلة وهم ثائرون تتأجَّجُ نيرانُ الهزيمة فى قلوبهم ، وتنطقُ وجوهُهم بالخزى والعار ، وعلت الأصواتُ التى تمتلئُ بالألمِ والحسرة مطالبةً بالثأر ، واستغل عكرمةُ بن أبى جهلٍ - الذى قتل أبوه - هذه المشاعرَ وقالَ :

- يا معشرَ قريش ، إن محمداً هزمَكُم ، وقتلَ خيارَكم ، وبدَّل فرحتَكُم ؛ فأعينونا بهذا المال على حربِ محمدٍ وأصحابِه .

وظلَّ عكرمةُ يثيرُ مشاعر قريشٍ بكلامهِ حتى ثارت نفوسُهم ، فوافقوا على تنازُلهم عن أموالِهم لحربِ محمدٍ وأصحابه .

أرادَ أبو سفيانَ بنُ حرب أن ينالَ شرفَ الأخذ بالثأر من محمد ، ويعيدَ لشباب قريش فرحتهم وبهجتهم ، ولقريش هيبتها ، ويصبح اسمُه كبطلٍ على كل لسانٍ فى قريش ، فجمعَ مائتى رجلٍ ، واتجه بهم إلى

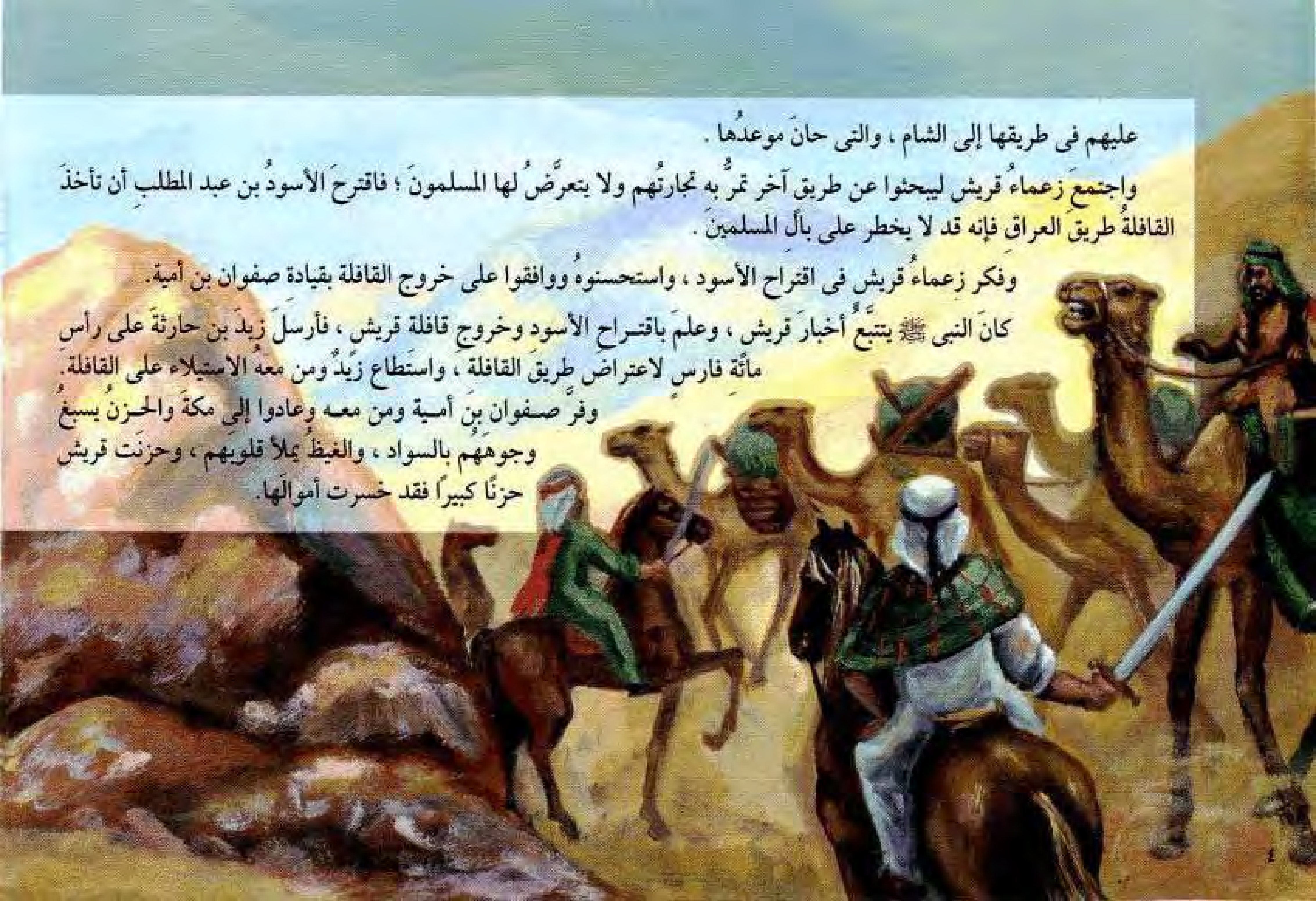


المدينة ليثأر لقريش من المسلمين .

ولما وصل أبو سفيان إلى المدينة دبَّ الخوفُ فى قلبه ، فخشى أن يواجهَ المسلمينَ فى النهار ، واختبأَ عندَ سلامِ ابن مشكم زعيم يهود بنى النضير . وفى جوف الليل وتحت جُنحِ الظلام وبعيداً عن العيون خرج أبو سفيان ومن معه إلى أحد أحياء المدينة ، فقطعوا النخيل ، وأشعلوا فيه النيرانَ ، وقتلوا رجلين غدراً، ثم أسرعوا بالفرار . وعلم النبى ﷺ بما فعلَهُ أبو سفيانَ ومن معه فخرج هو والمسلمون خلفهم مسرعينَ ، فلَمَّا أحس أبو سفيان باقترابِ النبى ﷺ وأصحابه أمرَ جنوده بإلقاء ما تحمله الإبلُ والخيلُ من طعامٍ وغيرِه، ليستطيعوا النجاة بأنفسِهم .

وعادَ أبو سفيانَ ومن معهُ إلى مكةَ يجرونَ أذيالَ الخيبةِ والعارِ ، وبدلا منَ أن يجنوا فخر قريشٍ ، أصبحوا مسارَ سخرية العربِ جميعاً .

أصبحتْ قريشٌ تعيشُ فى قلقٍ بعدَ ما تيقنت أن المسلمينَ أصبحوا يمثلونَ خطراً حقيقيا على تجارتهم التى تمرُّ



عليهم في طريقها إلى الشام ، والتي حانَ موعدُها .

واجتمعَ زعماءُ قريشٍ ليبحثوا عن طريقٍ آخر تمرُّ به تجارتُهم ولا يتعرَّضُ لها المسلمونَ ؛ فاقترحَ الأسودُ بن عبد المطلبِ أن تأخذَ القافلةُ طريقَ العراقِ فإنه قد لا يخطر على بالِ المسلمينَ .

وفكر زعماءُ قريشٍ في اقتراح الأسود ، واستحسنوهُ ووافقوا على خروج القافلة بقيادة صفوان بن أمية.

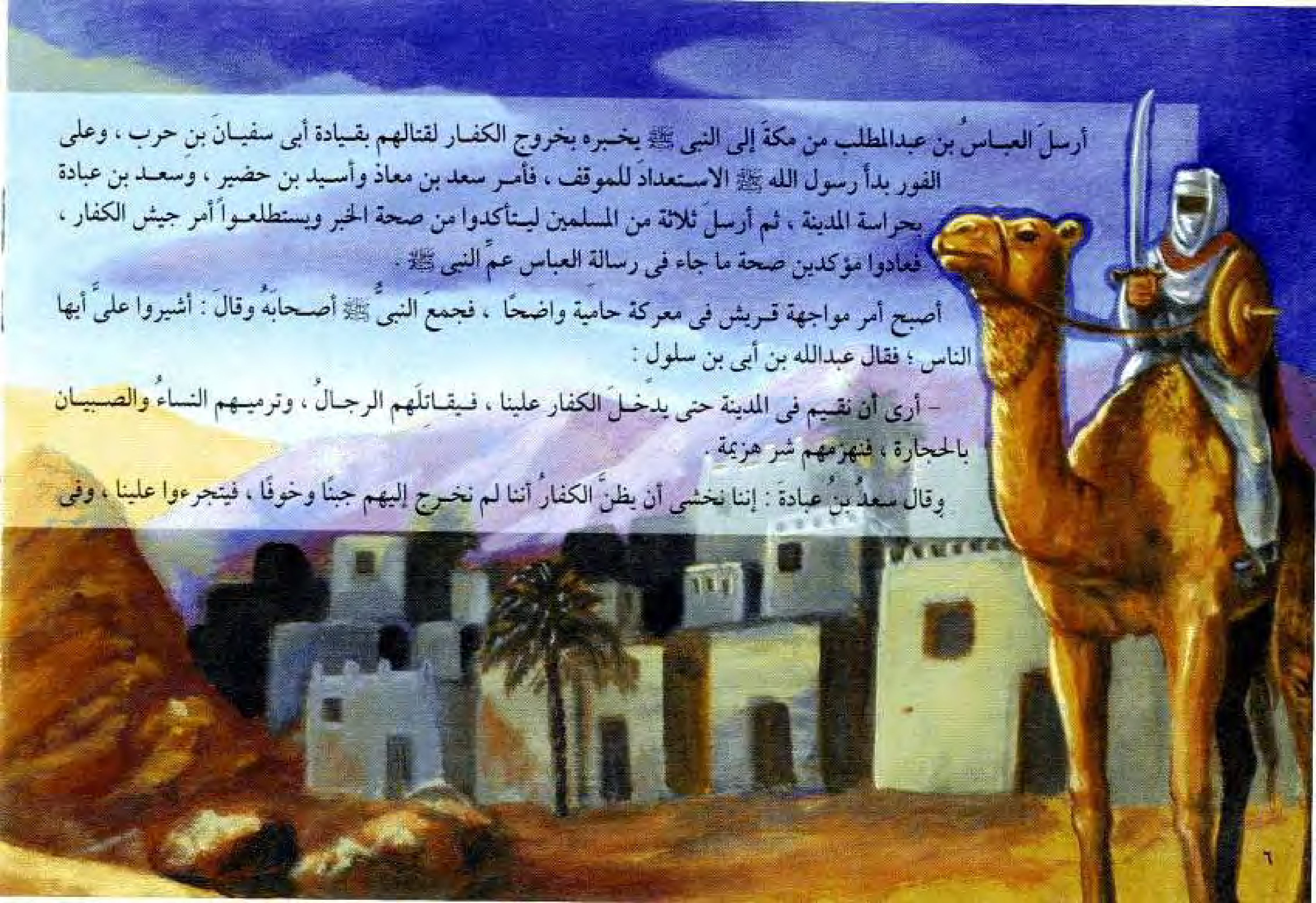
كانَ النبي ﷺ يتتبَّعُ أخبارَ قريش ، وعلمَ باقتـراحِ الأسودِ وخروجِ قافلة قريشٍ ، فأرسلَ زيدَ بنَ حارثةَ على رأسِ مائةِ فارسٍ لاعتراضِ طريقَ القافلة ، واستطاع زيدٌ ومن معهُ الاستيلاء على القافلة.

وفرَّ صـفوانُ بنَ أمـيةَ ومن معـه وعادوا إلى مكةَ والحـزنُ يسبغُ وجوهَهم بالسواد ، والغيظ يملأ قلوبهم ، وحزنَت قريش حزنًا كبيراً فقد خسرت أموالَها.



امتلأت قلوبُ زعماء قريش بالحقد والغيظ والحزن والقلق والخوف ، فهم يحقدون على المسلمينَ لقوتهم التى أصبحَتْ واضحةً ولها تأثير مباشر فى توجيه ضربات لهم . ويغتاظونَ مما حدث من نصر المسلمينَ فى بدر واستيلائهم على قافلتهم التجارية بعد ذلك . وحزنوا على قتلاهم وأموالهم حزنًا كبيراً. وملأ القلقُ والخوفُ قلوبهم من الحصار الذى فرضه المسلمونَ على تجارتهم . ومن أجلِ هذا كله قررت قريشٌ الاستعدادَ لقتال المسلمينَ مرةً أخرى ، ووجدَ أبو سفيان أن الفرصة متاحة له ليعوِّض الفشلَ الذى لحقهُ وجعله مثارَ سخرية قريش ، فأخذَ يلهب مشاعر الناس ليتبرعوا بالمال ويشجعوا الرجال على الخروج، فأعدوا ثلاثةَ آلاف مقاتل كان بينهم سبعمائةُ رجل يلبسونَ الدروع ، ومائتا فارس يركبون الخيول ، وخرجت النساء مع الجيشِ ليشهدن القتال ، ويشجعنَ الرجالَ ليدب الحماس فى قلوبهم .

واختارتْ قريشٌ أبا سفيانٍ ليكونَ قائدًا للجيشِ ، يعاونُه خالدُ بنُ الوليد على الميمنة ، وعكرمةُ بنُ أبى جهل على الميسرة .



أرسلَ العباسُ بن عبدالمطلب من مكةَ إلى النبى ﷺ يخبره بخروج الكفار لقتالهم بقيادة أبى سفيانَ بنِ حرب ، وعلى الفور بدأ رسول الله ﷺ الاستعدادَ للموقف ، فأمر سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وسعد بن عبادة بحراسة المدينة ، ثم أرسلَ ثلاثة من المسلمين ليتأكدوا من صحة الخبر ويستطلعوا أمر جيش الكفار ، فعادوا مؤكدين صحة ما جاء فى رسالة العباس عمِّ النبى ﷺ .

أصبح أمر مواجهة قريش فى معركة حامية واضحًا ، فجمعَ النبىُّ ﷺ أصحابَهُ وقالَ : أشيروا علىَّ أيها الناس ؛ فقال عبدالله بن أبى بن سلول :

- أرى أن نقيم فى المدينة حتى يدخلَ الكفار علينا ، فيقاتلهم الرجالُ ، وترميهم النساءُ والصبيان بالحجارة ، فنهزمهم شر هزيمة .

وقال سعدُ بنُ عبادةَ : إننا نخشى أن يظنَّ الكفارُ أننا لم نخرج إليهم جبنًا وخوفًا ، فيتجرءوا علينا ، وفى



يوم بدرٍ نصَرَكَ اللهُ عليهم بثلاثمائة رجلٍ ، ونحنُ الآنَ أكثرُ بكثير .

وأقسم حمزةُ بن عبدالمطلب قائلا : والذى أنزلَ الكتابَ عليكَ لا آكل طعامًا حتى أقاتلهم بسيفى خارجَ المدينة .

وتوالَت أقوالُ الصحابة التى تؤيدُ الخروجَ إلى لقاء الكفار خارجَ المدينة ، ورضى النبى ﷺ برأى الأغلبية تحقيقًا لمبدأ الشورى الذى جعلَه أساسًا للتعامل مع أصحابه ، وقام ﷺ ودخلَ بيته ليتجهزَ للقتال، ولاحظَ بعضُ الصحابة أن النبيَّ ﷺ كانَ يميلُ إلى البقاء فى المدينة لملاقاة العدو بها وعدمَ الخروج إليه ، وأخبرَ سعدُبنَ معاذ المسلمينَ بذلكَ ، فلما خرَجَ النبى ﷺ من بيته لابسًا درعَه قالوا له : يا رسولَ الله : ما أردنا أن نخالفكَ ونُكرِهَك على الخروجِ إلى العدوِّ ، فإن أحببتَ أن تمكثَ فى المدينة فافعل .

سمعَ رسولُ الله ﷺ قولَ الصحابة ورفضَ الرجوعَ فيما عزموا عليه ؛ ليعلِّمَهم أحد مبادئ الحربِ وهو أن الجيش إذا استعد لمحاربة الأعداء فلا يتردد ولا يتراجع .



أخذَ المسلمونَ يتهيئون للقتـال ، ورأى عمرو بنُ الجموح أولادَه يتجـهزون للقاء أعداء الله فأثارَ الموقفُ نفسَهُ وعزمَ على أن يسرع معهم إلى الجهاد ، لكنَّ أولادَهُ منعوه ، فذهـب مسرعًا إلى النبيِّ ﷺ وقالَ : يارسولَ اللّهِ إنَ أبنائي يريدونَ أن يمنعوني عن هذا الخيرِ وهم يحتجونَ بأنِّي أعرجُ ، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة ، واستجابَ النبيُّ ﷺ لعمرو بن الجموحِ وقال لأبنائهِ : دعوه لعل الله يرزَقه الشهادة .

وخرج عددٌ من الفتية يريدونَ الجهـادَ ، ويتمنونَ أن يرزقَهم اللهُ الشهادةَ في سبيله ، ولكنَّ الرسـولَ ﷺ ردَّهم لصـغر سنِّهم ، وكـان منهم : زيدُ بن ثابـت ، وأسامـةُ بنُ زيدٍ ، وعبدالله بن عمر .

وسـمحَ النبي ﷺ للنساء بالخـروج خلفَ صـفوفِ المجاهدينَ ليقـدمنَ لهم الطعامَ والشرابَ ويداوين الجرحى .

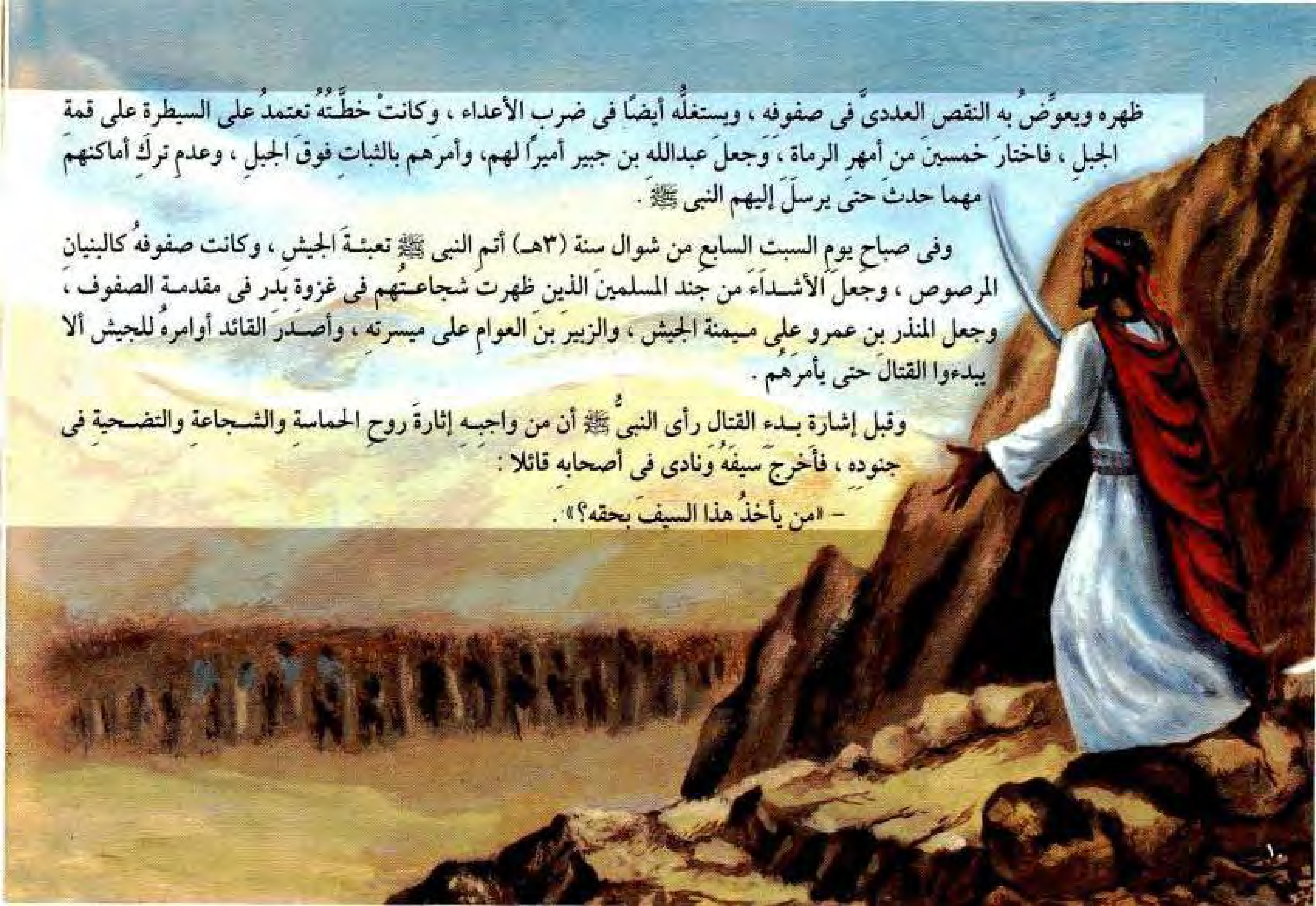


استعرضَ النبيُّ ﷺ صفوفَ جيشِ المؤمنينَ الذى سارَ على بركةِ الله ، وفى الطريقِ إلى أُحُد حدثَت مفاجأةٌ لم تكنْ فى الحسبان ، فقد عادَ عبدُالله بنَ أبى بن سلول إلى المدينة متخليًا عن مناصرة المسلمين، ومحاولا زعزعتَهم وكانتْ حجتُهُ فى الرجوعِ أن النبى ﷺ لم يستجبْ لرأيه بالبقاء فى المدينة ومحاربة الكفارِ من داخلها .

لم تؤثِّر هذه المؤامرةُ على معنويات المسلمينَ ، فقد منَّ اللهُ - تعالى - عليهم بالثباتِ ، ولم يحزنَ النبيُّ ﷺ من هذا الموقف بل زاده ثباتًا وشجاعةً وثقةً فى الله تعالى .

وتقدَّم الجيشُ على بركةِ الله حتى وصل إلى جبلِ أحدٍ ، وبجوارِه عسكرَ المسلمونَ فكانَ ظهرُ الجيشِ إلى جبلِ أحد ووجهُهُ إلى المدينةِ .

كانَ جيشُ الكفارِ قد وصلَ وعسكر قريبًا من معسكرِ المسلمينَ ، وكانَ المسلمونَ يرونَهم وهم لا يرونَ المسلمينَ ، وظهرت عبقرية النبى ﷺ الحربيةُ حينَ وضع خطَّته العسكرية ، فقد اتخذ من الجبلِ ساترًا يحمى



ظهره ويعوِّضُ به النقص العددىَّ فى صفوفه ، ويستغلُّه أيضًا فى ضرب الأعداء ، وكانتْ خطَّتُهُ تعتمدُ على السيطرة على قمة الجبلِ ، فاختارَ خمسينَ من أمهرِ الرماة ، وَجعلَ عبدالله بن جبير أميراً لهم، وأمرَهم بالثباتِ فوقَ الجبلِ ، وعدمِ تركِ أماكنهم مهما حدثَ حتى يرسلَ إليهم النبى ﷺ .

وفى صباحِ يومِ السبتِ السابعِ من شوال سنة (٣هـ) أتم النبى ﷺ تعبئةَ الجيش ، وكانت صفوفهُ كالبنيانِ المرصوص ، وجعلَ الأشداءَ من جند المسلمينَ الذينَ ظهرت شجاعتُهم فى غزوة بدر فى مقدمة الصفوف ، وجعل المنذر بن عمرو على ميمنة الجيش ، والزبيرَ بنَ العوامِ على ميسرته ، وأصدرَ القائد أوامرهُ للجيش ألا يبدءوا القتالَ حتى يأمرَهم .

وقبل إشارة بدء القتال رأى النبىُّ ﷺ أن من واجبه إثارةَ روحِ الحماسةِ والشجاعةِ والتضحيةِ فى جنودِه ، فأخرجَ سيفَهُ ونادى فى أصحابهِ قائلا :

- «من يأخذُ هذا السيفَ بحقه؟» .



فأسرع إليه أبو دجانة قائلا : وما حقُّه يا رسولَ الله ؟

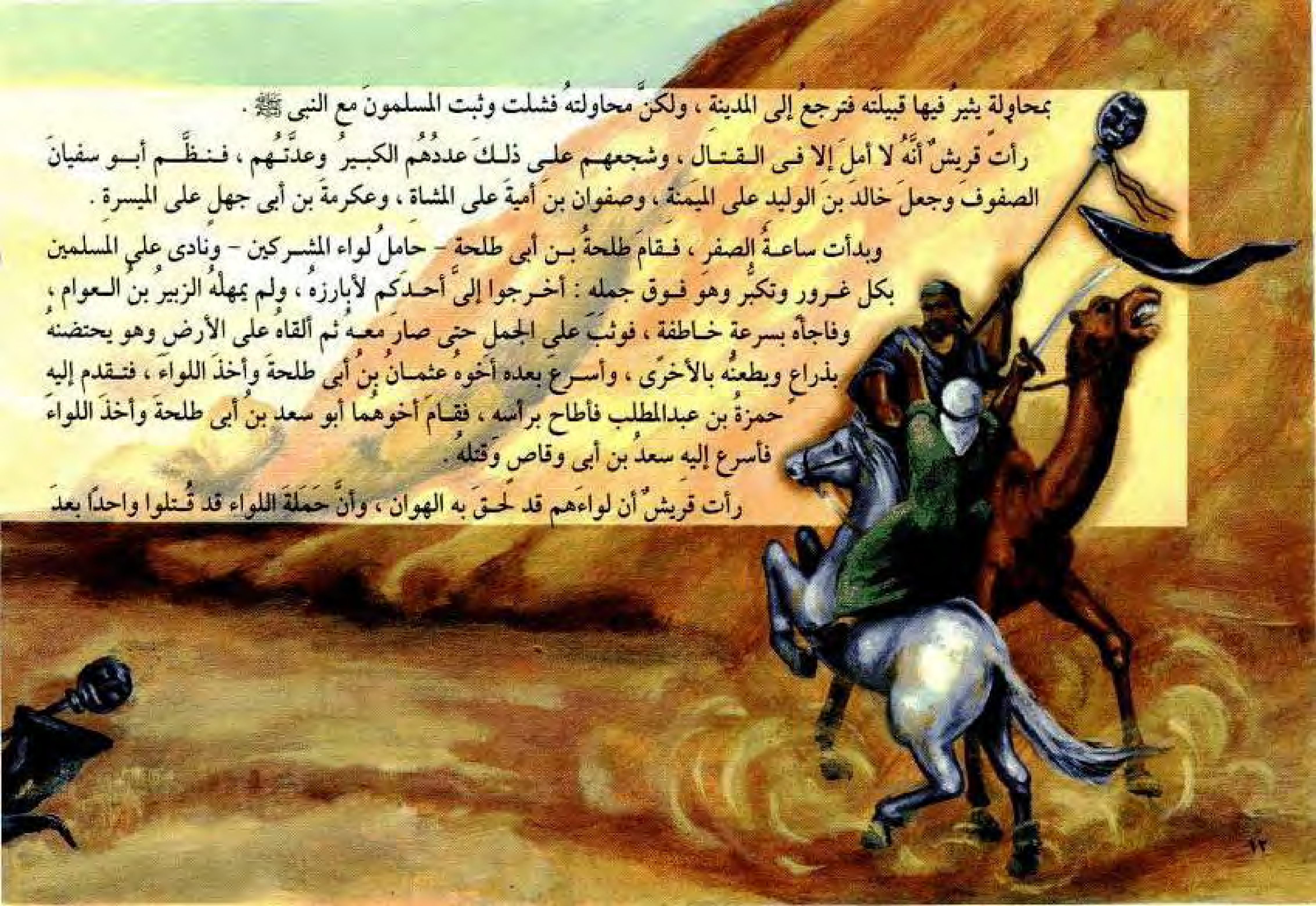
قال النبى ﷺ : أن تضربَ به وجوهَ الأعداء حتى ينحنى .

قال أبو دجانة : أنا آخذه بحقِّه يا رسولَ الله .

أعطى النبى ﷺ السيفَ لأبى دجانةَ فأخذهُ وربطَ قماشة حمراءَ على رأسه وكانَ إذا وضعها عرفَ الجميع أنه سوف يُقاتِلُ حتى يُكتب له النصرُ على أعدائه أو يموت .

رأتْ قريشٌ أنَّ المسلمينَ قد خرجوا لحربهم ، وفشلت الخطةُ التى أعدَّهَا أبو سفيان ، والتى أراد بها أن يفاجِئَ المسلمينَ بالهجومِ على المدينةِ دونَ أن يشعروا فيسهلَ القضاءُ عليهمَ ، ويعوِّض بذلك الفشلَ الذى حقَّقه سابقًا .

ورأى أبو سفيان المسلمين أمام عينه فـفكر فى خطة أخرى اختارَ لهـا أبا عامر الفاسق أحد زعماء الأوس الذين رفضوا الدخول فى الإسلام ولجأ إلى قريش ، فقد اتفقَ معه أبو سفيانَ على أن يقوم



بمحاولة يثير فيها قبيلته فترجع إلى المدينة ، ولكنّ محاولته فشلت وثبت المسلمون مع النبي ﷺ .

رأت قريشٌ أنّه لا أملَ إلا في القتال ، وشجعهم على ذلك عددُهم الكبير وعدّتُهم ، فنظّم أبو سفيان الصفوفَ وجعلَ خالدَ بنَ الوليد على الميمنة ، وصفوان بنَ أمية على المشاة ، وعكرمةَ بن أبي جهلٍ على الميسرة .

وبدأت ساعةُ الصفر ، فقامَ طلحةُ بن أبي طلحة - حاملُ لواء المشركين - ونادى عليّ المسلمين بكل غرور وتكبر وهو فوق جمله : أخرجوا إليّ أحدكم لأبارزه ، ولم يمهلْه الزبيرُ بنُ العوام ، وفاجأه بسرعة خاطفة ، فوثبَ على الجملِ حتى صار معه ثم ألقاه على الأرضِ وهو يحتضنه بذراعٍ ويطعنُه بالأخرى ، وأسرع بعده أخوه عثمانُ بنُ أبي طلحةَ وأخذَ اللواءَ ، فتقدم إليه حمزةُ بن عبدالمطلب فأطاح برأسه ، فقامَ أخوهما أبو سعد بنُ أبي طلحةَ وأخذَ اللواءَ فأسرع إليه سعدُ بن أبي وقاصٍ وقتله .

رأت قريشٌ أن لواءَهم قد لَحِقَ به الهوان ، وأنَّ حَمَلَةَ اللواء قد قُتلوا واحداً بعد



الآخر ، فقاموا بهجوم عنيف على جيش المسلمين ليرهبوهم ويبثوا الرعب في صفوفهم ، ولكن المسلمين واجهوا هذا الهجوم بكل شجاعة وأوقفوه بحزم وقوة .

وكان للرماة دور مهم في صد هذا الهجوم ، إذ وجهوا أقواسهم إلى جيش المشركين المندفع نحوهم ، وأرسلوا عليهم السهام مثل المطر فأصابت الكثير منهم ، وقتلت الكثير ؛ فتوقفوا عن التقدم نحو المسلمين وظلوا في أماكنهم ، فتقدم المسلمون نحوهم ، وركزوا الضربات على حاملي لواء المشركين ، فقتلوا منهم عشرة رجال ، واحداً بعد الآخر ، فاللواء في المعركة رمز العزة والقوة ، وفي سقوطه تحطيم للروح المعنوية للجنود في القتال .

وبعد قتل العشرة قام غلام حبشي بحمل اللواء فتقدم إليه بعض المسلمين فقتلوه ، وسقط اللواء على الأرض ولم يجد من يرفعه ، وأثار هذا شجاعة المسلمين ورفع من روحهم المعنوية فتقدموا نحو العدو مظهرين ألواناً من البطولة، وتقدم أبو دجانة الصفوف نحو المشركين يحمل سيف رسول الله ﷺ ولم ينس وعده للنبي ﷺ الذي من أجله أخذ السيف ، فكان لا يلقى أحداً إلا قتله .



وقاتل حمزةُ بنُ عبدالمطلب قتال الأبطال ، فكانَ لا يمرُّ به أحدٌ من المشركين إلا أطاح برأسه ، وظلَّ على هذه الحال حتى رماهُ وحشى بنُ حرب بحربته فأصابته وسقط شهيداً .

ظل المسلمونَ فى تقدمهم نحو العدوِّ ، وضربوا فى ذلكَ أروعَ الأمثلة في الشجاعة والجود بالنفسِ والروحِ فى سبيل الله تعالى . تقدَّمَ البطلُ المسلم حنظلةُ بن أبى عامرَ مخترقاً صفوف المشركين حتى وصل إلى قائدهم أبي سفيانَ بن حرب ، وفى شجاعة أوقعهُ ، ورفعَ سيفهُ ليقطعَ رأسهُ ، ولكنَّ أحدَ المشركينَ أسرعَ ورمى حنظلةً بسهمٍ فسقط شهيداً قبل أن يقتلَ أبا سفيان .

ورأى النبي ﷺ الملائكةَ وهى تغسلُ حنظلةَ بين السماء والأرضِ فسأل عن ذلكَ فعرفَ أنه قد خرجَ للجهادِ يومَ عرسهِ قبل أن يغتسل .

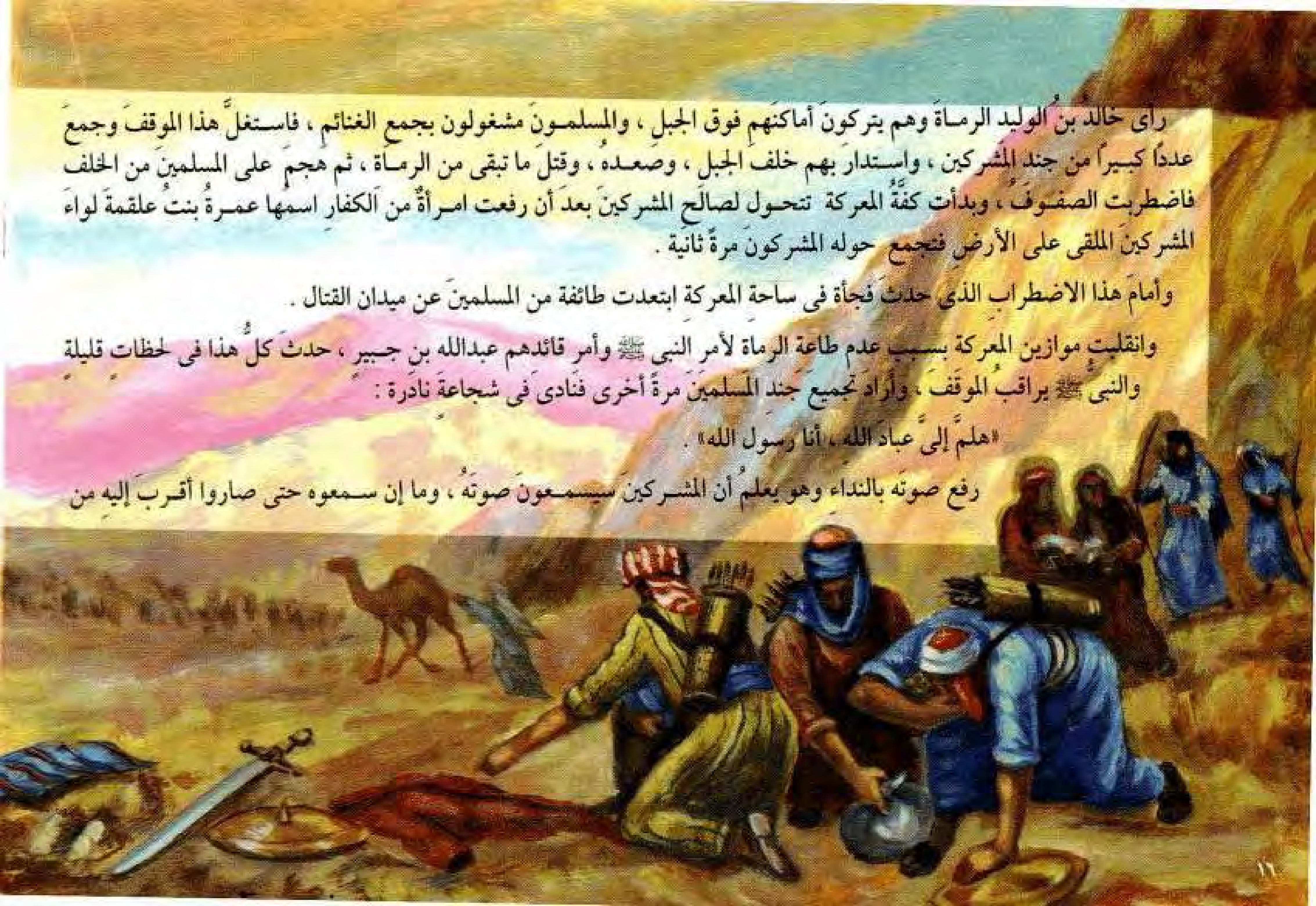
وجدَ المشركونَ أنفسَهُم أمامَ قوة هائلة ، وشجاعة نادرة ، وتضحية



وفداء ، وإصرار من المسلمينَ على الموت أو النصرِ ، ففضلوا الفرارَ تاركينَ ما معهم من غنائم .

ظن المسلمون أن المعركة قد انتهت ، وأنهم فازوا بالنصرِ المبينِ فلم يتعقَّبُوا المشركينَ حتى يقضوا عليهم ، ولكن فضلوا العودةَ إلى أرضِ المعركة ليجمعوا الغنائم .

هزّتْ فرحةُ النصرِ الجميعَ ، وهلَّلوا ، وكبروا وهم يجمعونَ الغنائمَ ، وشاهدَ الرماةُ هذا المشهدَ العظيم، فتحركوا من فوق الجبلِ إلى أرضِ المعركةِ لجمعِ الغنائمِ ، ونسوا أمرَ الرسول ﷺ لهم ، وأمرَهم قائدُهم عبدُ الله بن جبير أن يثبتوا مكانَهم ولكنَّهم لم يطيعوا الأمرَ ولم يبق معه سوى تسعة من الرماة نفذوا أمر النبى ﷺ وأصبح الجبلُ خاليًا ، وانكشفَ ظهر جيش المسلمينَ .



رأى خالدُ بنُ الوليد الرماةَ وهم يتركونَ أماكنَهم فوق الجبلِ ، والمسلمونَ مشغولون بجمعِ الغنائم ، فاستغلَّ هذا الموقفَ وجمعَ عدداً كبيراً من جندِ المشركين ، واستدارَ بهم خلفَ الجبلِ ، وصعدهُ ، وقتلَ ما تبقى من الرماة ، ثم هجمَ على المسلمينَ من الخلف فاضطربت الصفوفُ ، وبدأت كفَّةُ المعركة تتحولُ لصالحِ المشركينَ بعدَ أن رفعت امرأةٌ من الكفارِ اسمها عمرةُ بنتُ علقمةَ لواءَ المشركينَ الملقى على الأرضِ فتجمعَ حوله المشركونَ مرةً ثانية .

وأمامَ هذا الاضطرابِ الذي حدثَ فجأة في ساحةِ المعركة ابتعدت طائفة من المسلمينَ عن ميدان القتال .

وانقلبتٍ موازينُ المعركة بسببِ عدمِ طاعة الرماة لأمرِ النبي ﷺ وأمرِ قائدهم عبدالله بنِ جبيرٍ ، حدثَ كلُّ هذا في لحظاتٍ قليلة والنبي ﷺ يراقبُ الموقفَ ، وأرادَ تجميعَ جندِ المسلمينَ مرةً أخرى فنادى في شجاعةٍ نادرة :

«هلمَّ إليَّ عبادَ الله ، أنا رسول الله» .

رفع صوته بالنداء وهو يعلمُ أن المشركينَ سيسمعونَ صوتَهُ ، وما إن سمعوه حتى صاروا أقربَ إليهِ من



المسلمينَ يريدونَ قتلهُ ، فوجهوا إليه السهامَ والرماحَ حتى قُطعت شفتهُ السفلى ، وكسرت السنِ المجاورةُ للناب ، وتقدم إليه عبدالله بنُ شهابِ الزهرى وضربه على رأسه فجرحهُ جرحًا كبيرًا ، وأقبلَ عبدالله بنُ قمِيئة وضربَ الرسولَ ﷺ على كتفه ضربةً شديدةً ، ثم عادَ وضربهُ مرةً أخرى على وجنتهِ ، وتقدمَ أكثر إلى النبىِّ ﷺ يريدُ قتلهُ ولكنْ برزتْ واحدةٌ من طلائع المسلمين هى نسيبةُ بنتُ كعبٍ فتصدت له وأجبرته على الفرار بعدما وجهت له عدةَ ضرباتٍ قوية ، ولكنه نجح فى إصابتها فى كتفها .

عندما أقبلَ عددٌ من المسلمينَ رأوا ذلكَ والتفُّوا حول النبى ﷺ يفدونهُ بأرواحهم ، وأقبلَ أبو دجانة وجعلَ وجههُ إلى النبى ﷺ وظهرهُ إلى المشركين يتلقى السهامَ حتى لا يصابَ النبى ﷺ وظلَّ يدافع عن النبى ﷺ حتى أُصيبَ بأكثر من ستينَ جرحًا .

واجتهدَ «عبدالرحمنِ بنُ عوف» فى الدفاعِ عن النبىِّ ﷺ وراحَ يضربُ المشركينَ ويضربونَه حتى جُرحِ عشرينَ جرحًا كان من نتيجتها أن أصيبَت رجلهُ بالعرجِ .

ورغم الإصرار الذى ظهر من المسلمينَ على فداءِ النبى ﷺ حاول ابنُ قميئةَ العودة إلى إيذاء النبى ﷺ



فتصدَّى له مصعبُ بنُ عمير وهو يحملُ لواءَ المسلمينَ فضربَهُ ابنُ قميئةَ على يده اليمنى فقطعها فتناولَ مصعبُ اللواءَ بيده اليسرى، فقطعها ابن قميئة فأمسكَ «مصعب» اللواءَ بعضديه فضربه ابنُ قميئةَ ضربةً قاتلةً فسقطَ مصعب شهيداً، وخُيِّلَ لابنِ قميئة أنهُ قتل النبى ﷺ فصاحَ قائلا: لقد قتلتُ محمداً.

ظنَّ المسلمونَ أنَ خبر مقتلِ النبيِّ ﷺ صحيحٌ، فضعفت عزيمةُ بعضهم وانهارَت معنوياتُهم، فتوقَّفُوا عن القتالِ، ولكنَّ فئةً أخرى كانت فى جيشِ المسلمينَ امتلأ قلبُها بالإيمانِ والصبر على الشدائد وتحملِ الصعاب، ومنهم: أنس بن النضرِ الذى مرَّ على جماعةَ من المسلمينَ قد جلسوا بعيداً عن ساحةِ المعركةِ ولم يعجبه جلوسُهم فقال لهم: ما تنتظرون ؟

قالوا: قُتل رسولُ الله ﷺ.

فقال: وما تصنعونَ بالحياة بعدهُ ؟! قوموا فموتوا على ما ماتَ عليه.



ثم قالَ : اللهم إنى أعتذرُ إليك مما صنعَ هؤلاء ، وأبرأُ إليكَ مما صنع المشركونَ .

وتقدَّمَ أنسُ بنُ النضرِ نحوَ العدوِّ فقال له سعدُ بنُ معاذ :

إلى أين ؟!

قال : إنى أشمُّ ريحَ الجنة .

ومضى يقاتلُ بشجاعةٍ وبسالةٍ حتى قُتلَ بعدما أصيبَ بأكثرَ من ثمانينَ جرحًا .

وبينما كان أنسُ بنُ النضرِ يلفظُ أنفاسهُ ؛ ليتحقق أملُهُ فى دخولِ الجنةِ إذا بصوتِ ثابتِ بن الدحداحِ ينادى ويقولُ :

يا معشرَ الأنصارِ إن كان محمداً قد قُتل فإن الله حىٌّ لا يموتُ ، قاتلوا عن دينِكم ،



فإن الله ناصرُكم.

وارتجت قلوبُ المسلمينَ لهذا الصوتِ ، فازدادت حماستُهم ، وعادوا إلى القتالِ بروحٍ جديدة ، كلٌّ منهم يقبلُ على الموت فداءً لدينِ الله .

في هذه الأثناء كانَ النبيُّ ﷺ قد التفَّ حولَهُ تسعةٌ من المسلمين ، كلٌّ منهم يحاولُ أن يفديه بروحه، فقُتلَ سبعةٌ منهم وهم يدافعونَ عن النبى ﷺ وبقى ﷺ وطلحةُ بن عبيد الله ، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ صامدين يقاتلونَ المشركين ببسالة وشجاعة وتضحية وفداء ، حتى إنَّ طلحةَ قُطعتْ أصابعهُ ، وشُلّت يدهُ الأخرى من كثرة الطعنات التى وجهت إليه ، وظلَّ يقاتلُ بيده الأخرى حتى جاءهم مددٌ من المسلمين فاشتركوا معهم في الدفاعِ عنَ النبى ﷺ ، وفى هذه اللحظات الحرجة بايع النبى ﷺ على الموتِ فى سبيلِ الله مجموعةٌ ، منهم : على بنُ أبى طالب ، والزبيرُ بن العوام ، وطلحة بن عبيدالله ، وأبو دجانة ، فاندفعوا يقاتلونَ ويدافعونَ عن النبى ﷺ لا يبالونَ شيئاً ، ولا يخشونَ الموتَ فى سبيلِ الله.



ويظلُّ المسلمونَ صامدين في وجه الكفار يدافعونَ في شجاعة ، ويظهر خالدُ بنُ الوليدِ في فرقة كبيرة من المشركين ، ويُقبلون نحوَ النبي ﷺ فيقولُ لأصحابه : من لهَذه الفرَقة ؟

قال وهبُ بنُ قابوس : أنا يا رسول الله . ثمَّ يتقدَّم نحوَ المشركين موجهًا سهامَهُ نحوهُم ، وأمام إصرارِه انصرفوا بعيدًا .

ثم جاءت فرقة أخرى فقالَ النبيُّ ﷺ : «من لهذه؟»

فقالَ وهب مرةً أخرى : أنا يا رسول الله . ويحدثُ ماحدثَ في المرة الأولى .

وتأتي فرقة ثالثةٌ يقولُ النبي ﷺ : من يقومُ لهؤلاء؟

فيقولُ وهب : أنا يا رسول الله ، فيقول النبي ﷺ :

«قم وأبشر بالجنة» .

وتسرى كلماتُ النبيِّ ﷺ بالبشرى في أذن وهب إلى قلبه فيخترق صفوف العدوِّ ضاربًا ب[illegible] فيهم ، والرسولُ



ﷺ يقولُ : «اللهم ارحمه» .

ويظلُّ وهبٌ يضربُ بسيفه حتَّى يجتمعَ عليهِ عددٌ كبيرٌ من المشركينَ يضربونه بسيوفهِم ورماحِهم فيسقط شهيداً بعدما أُصيب بعشرين طعنة وصلت كلها إلى مقتل .

وتمر كل هذه الأحداث ، ويظنُّ معظمُ المسلمينَ أن النبي ﷺ قد قُتل ، وفجأةً يرى كعبُ بنُ مالك النبي ﷺ وأصحابهُ حولَهُ يقاتلونَ قتالَ الأبطالِ ، فنادى بصوت مرتفع: يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسولُ الله .. هذا رسولُ الله .

وما إن سمع المسلمونَ هذا القولَ حتى امتلأت قلوبهم قوةً وحماسةً وأحسُّوا كأنهم يولدونَ من جديد ، وأقبلَ الذين ابتعدوا عن ساحة المعركة ، وتجمَّع حول النبي ﷺ عدد كبيرٌ من المسلمينَ وساعدوه على أن يتحصن في شعبٍ من شعابِ الجبلِ يحميه من الكفار ، وتبعهُ المسلمونَ إلى هذا الحصنِ .



ولـمَّا رأى «أُبيّ بنُ خلف» الـنبي ﷺ حيا أصابهُ الجـنونُ ، وتقدّمَ نحوَ النبي ﷺ يريدُ قـتلَهُ ، فقالَ النبي ﷺ : «دعـوه» ، ثم أخذَ حربة وقذفها عليه فأصابت عنُقهُ بجرحٍ صغير . فصاح أُبيٌّ فى ألم شديد: قتلنى والله محمد .

وتقدّم سادة مكة نحو أُبيٍّ فوجدوا جرحه صغيراً فسخروا منهُ ولكنهُ قالَ لهم : إنه قال لى بمكةَ أنا قاتلُك ، فوالله لو بصقَ عليَّ لقتلنى .

ومات هذا الكافرُ بسبب هذا الجرحِ الصغير .

استقرَّ المسلمونَ فى حصْـنهم ، وفـشلَ المشركونَ فى الوصول إليـهم ، فتهيئوا للانصراف ، وهم فى فرحة غامرة لظنهم أنهم قتلوا النبى ﷺ وأرادَ أبو سفيانَ قبلَ الانصرافَ أنْ يتحققَ من الأمر فنادى على المسلمينَ قائلا : أفيكم محمدٌ ؟ فلم يجيبوه فقال : أفيكم أبو بكر ؟ فلم يجيبوه . فقال : أفيكم عمر بنُ الخطابِ؟ فلم يجيبوهُ .


وظنَّ أبو سفيانَ أن مقتلَ النبيِّ ﷺ صحيح فبشَّر الكفارَ بأنَّهم قد قضوا على الإسلام ولكنَّ عمرَ بنَ الخطابِ فاجأه بقولِه : يا عدوَّ الله إن الذين ذكرتَهم أحياءٌ وقد أبقى اللهُ ما يسوءك .
فقال أبو سفيان : اعلُ هُبل .
فقال النبيُّ ﷺ : قولوا اللهُ أعلَى وأجلُّ. فردَّ عليه عمر . فقال أبو سفيان : لنا العُزَّى ولا عزى لكم. فقال ﷺ : قولوا : اللهُ مولانا ولامولى لكم .
فقالَ ذلك عمر . فقالَ أبو سفيانَ : يومٌ بيومِ والحربُ سجالٌ . فقالَ عمر : قتلانا في الجنةِ وقتلاكم في النار .
فقال أبو سفيان : هلُمَّ إليَّ يا عمرُ . فاقترب منهُ عمر بعد أن أذنَ له النبي ﷺ .
فقال أبو سفيان : أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : لا والله وإنه يستمع إلى كلامك . فقال أبو سفيان : أنت



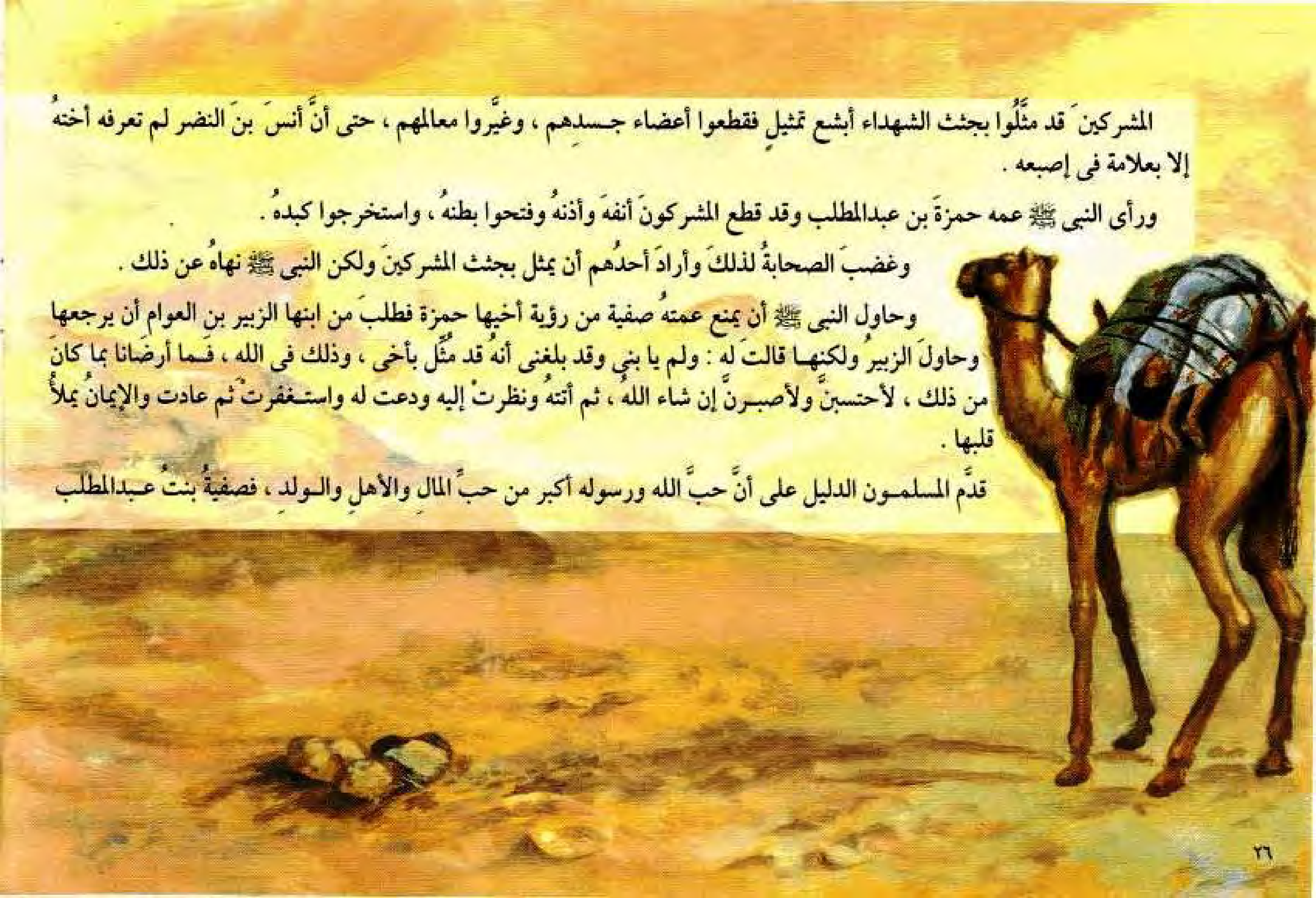
أصدقُ عندى من ابنِ قميئةَ ثم إن موعدكم بدراً العامَ القادمَ . فقال النبى لأصحابه : قولوا هو بيننا موعدٌ .

بدأ المشركونَ الاستعدادَ للعودة إلى مكة ولم يحققوا النصرَ الذى أتوا من أجله وهو دخول المدينة والقضاءُ على الإسلام . واقتنعوا أنَّ المسلمينَ حققوا مقاومةَ صلبة وأبرزوا شجاعة نادرة ، ولولا خطأ الرماة فى ترك الجبلِ لما صمدوا أمامَ المسلمينَ عدة ساعات ،وتأكد المشركونَ أن التضحية بالنفسِ والروحِ هى أغلى ما يقدمه المسلمَ فى سبيلِ دينه ، وأنَّ فداءَهم لنبى الإسلامِ بأرواحهم يفوق الوصف .

وبعد ما مضت قريش من أرضِ المعركةَ أرادَ النبىُّ ﷺ أن يتأكدَ من عودتِها إلى مكة فأرسل على بن أبى طالبٍ ليقف على خبرهم .

فمضى علىّ خلفهم فوجدَهم عائدين إلى مكة .

ولما اطمأن النبى ﷺ إلى رحيل الكفار ، أمر المسلمينَ بجمعِ جثثِ الشهداء لدفنهم ، فوجدوا



المشركين َ قد مثَّلُوا بجثث الشهداء أبشع تمثيلٍ فقطعوا أعضاء جسدِهم ، وغيَّروا معالمهم ، حتى أنَّ أنسَ بنَ النضر لم تعرفه أختهُ إلا بعلامة فى إصبعه .

ورأى النبى ﷺ عمه حمزةَ بن عبدالمطلب وقد قطع المشركونَ أنفهَ وأذنهُ وفتحوا بطنهُ ، واستخرجوا كبدهُ .

وغضبَ الصحابةُ لذلكَ وأرادَ أحدُهم أن يمثل بجثث المشركينَ ولكن النبى ﷺ نهاهُ عن ذلك .

وحاولِ النبى ﷺ أن يمنع عمتهُ صفية من رؤية أخيها حمزة فطلبَ من ابنها الزبير بنِ العوام أن يرجعها وحاولَ الزبيرُ ولكنهـا قالتَ له : ولم يا بنيِ وقد بلغنى أنهُ قد مُثِّل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كانَ من ذلك ، لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء اللهُ ، ثم أتتهُ ونظرتْ إليه ودعت له واستغفرتْ ثم عادت والإيمانُ يملأُ قلبها .

قدَّم المسلمون الدليل على أنَّ حبَّ الله ورسوله أكبر من حبِّ المالِ والأهلِ والولدِ ، فصفيةُ بنتُ عبدالمطلب



ترى أخاها وقد مُـثِّـل به وترضي بذلك لأنَّه في سبيل الله ، وأم خلاد تـسأل عن ابنها وزوجها وأخـيها فتـعلم أنهم قُتلوا ، فتسأل عـن رسول الله ﷺ وتعلمُ أنَّـه بخير فتقـول : كلُّ مصيبةٍ بعد رسـول الله هيِّنةٌ. ثم تحملُ ابنها وأخاها وزوجهـا عمرو بن الجموح وتعودُ بهم إلى المدينة لكنَّ الناقة ترفض التحـرك فتقومُ بتغيير وجهتها إلى أحدٍ فـتسرع الناقة بهم . وتخبر أم خلادٍ النبي بالأمر فقال لها : إنَّ الجمل مأمورٌ، فهل قال عمرو شيئًا ؟

قالت : لـمَّا توجَّه إلى أحد قال : اللهمَّ لا تردني إلى أهلي وارزقني الشهادة .

فقال ﷺ : فلذلك الجـملُ لا يمضي . إنَّ منكم معشر الأنصـارِ من لو أقسم على اللهِ لأبرَّهُ ، منهم : عمرو بنُ الجـموحِ . وقد رأيتُه يطأُ بعرجته الجنَّة .

يا هندُ ، مازالت الملائكة مُظلَّة على أخيكِ ينتظرون أينَ يُدفن .

وتنتهـزُ أم خـلاد الفرصة وتقولُ : يا رسـولَ الله ادعُ الله عسى أن يجعلني معهم . فدعا لها رسولُ الله ﷺ .



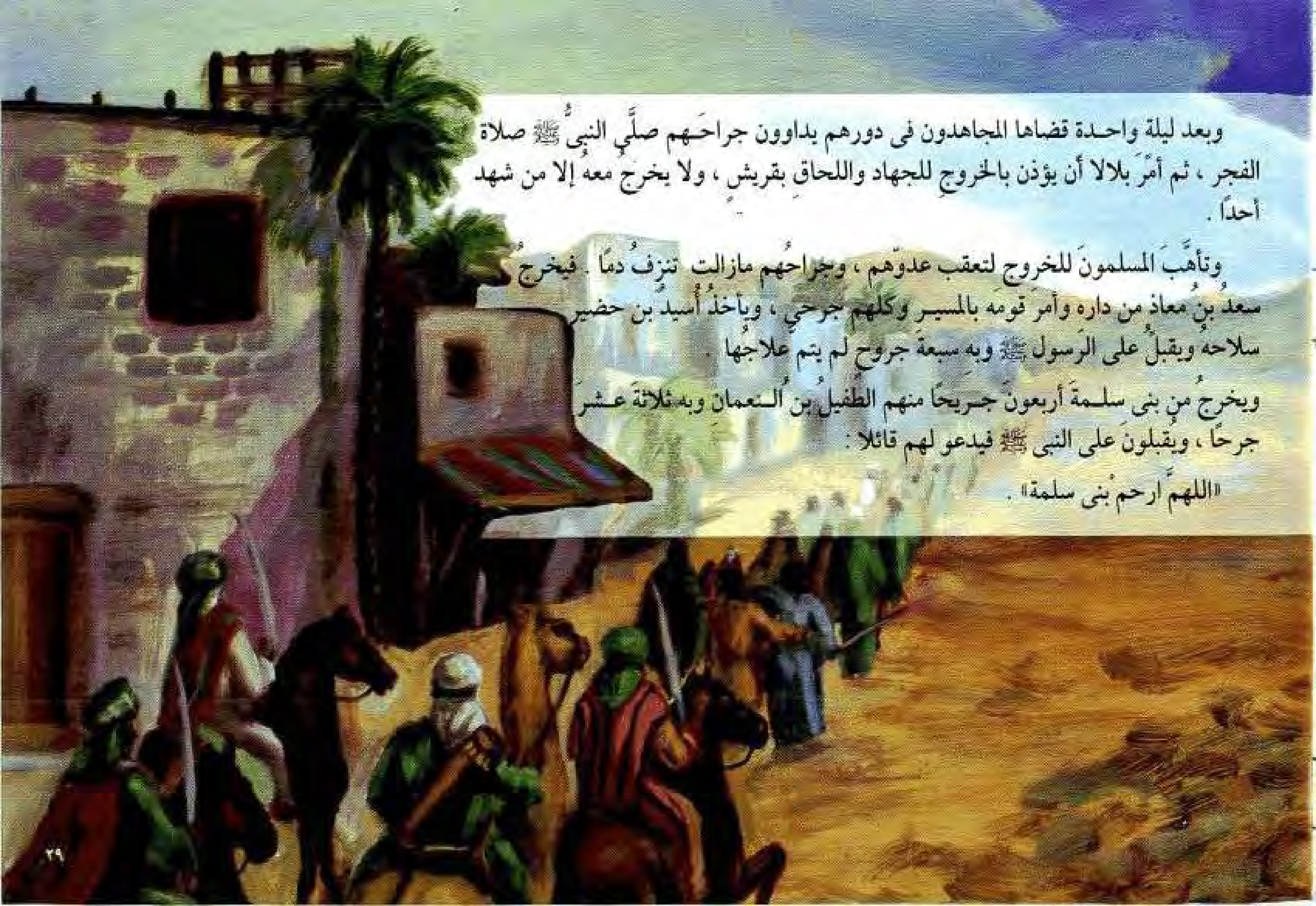
بدأ النبي ﷺ في دفن الشهداء ، وكانَ يضعُ كل اثنين أو ثلاثة في قبرٍ واحد ، وكان يُنزِلُ في القبر أولا أحفظهم للقرآن .

ولما فرغَ من دفن الشهداء وكانوا سبعينَ شهيدًا ، صفَّ المسلمين صفوفًا ، وبعدما أثنى على ربِّه ظلَّ يدعو ويبتهلُ إليه ، وبعدَ ذلك أمر المسلمين بالاستعداد للرجوع إلى المدينة، وما إن وصل إليها حتى أظهر المنافقون واليهودُ فرحتهم لِمَا أصابَ المسلمين ، وحاولوا أنْ يزعزعوا ثقةَ المسلمينَ في نبيهم فقالَ اليهودُ :

لو كان محمد نبيا حقا ما انتصر عليه عدوهُ وما أصابوه بأذى .

وقال المنافقون : لو كنتم أطعتمونا ولم تخرجوا للقتال خارجَ المدينة لما أصابكم ما أصابكم .

وفكر الرسولُ ﷺ وخشى أن يعودَ المشركونَ مرةً أخرى إلى مهاجمة المدينة فأبلغَ أصحابهُ عزمَهُ على الخروج لمواصلة قتال قريش ليوضحَ لهم أن المسلمين في شوق دائم إلى لقاء العدو والنيلِ منهُ ليَظهر لليهودِ والمنافقين أنهم ما ضعفوا ، وليثبت لقريشٍ أنهم قادرون على القتال .



وبعد ليلة واحدة قضاها المجاهدون فى دورهم يداوون جراحهم صلَّى النبىُّ ﷺ صلاة الفجر ، ثم أمرَ بلالا أن يؤذن بالخروجِ للجهاد واللحاقِ بقريشٍ ، ولا يخرجَ معه إلا من شهد أحدًا .

وتأهَّبَ المسلمونَ للخروج لتعقب عدوّهم ، وجراحُهم مازالت تنزفُ دمًا . فيخرجُ سعد بنُ معاذ من داره وأمرَ قومه بالمسيرِ وكلهم جرحي ، ويأخذُ أسيد بن حضير سلاحه ويقبلُ على الرسول ﷺ وبه سبعةَ جروح لم يتم علاجها .

ويخرجُ من بنى سلمةَ أربعونَ جريحًا منهم الطُّفيلُ بن النعمانِ وبه ثلاثةَ عشر جرحًا ، ويقبلونَ على النبى ﷺ فيدعو لهم قائلا :

«اللهمَّ ارحمْ بنى سلمة» .

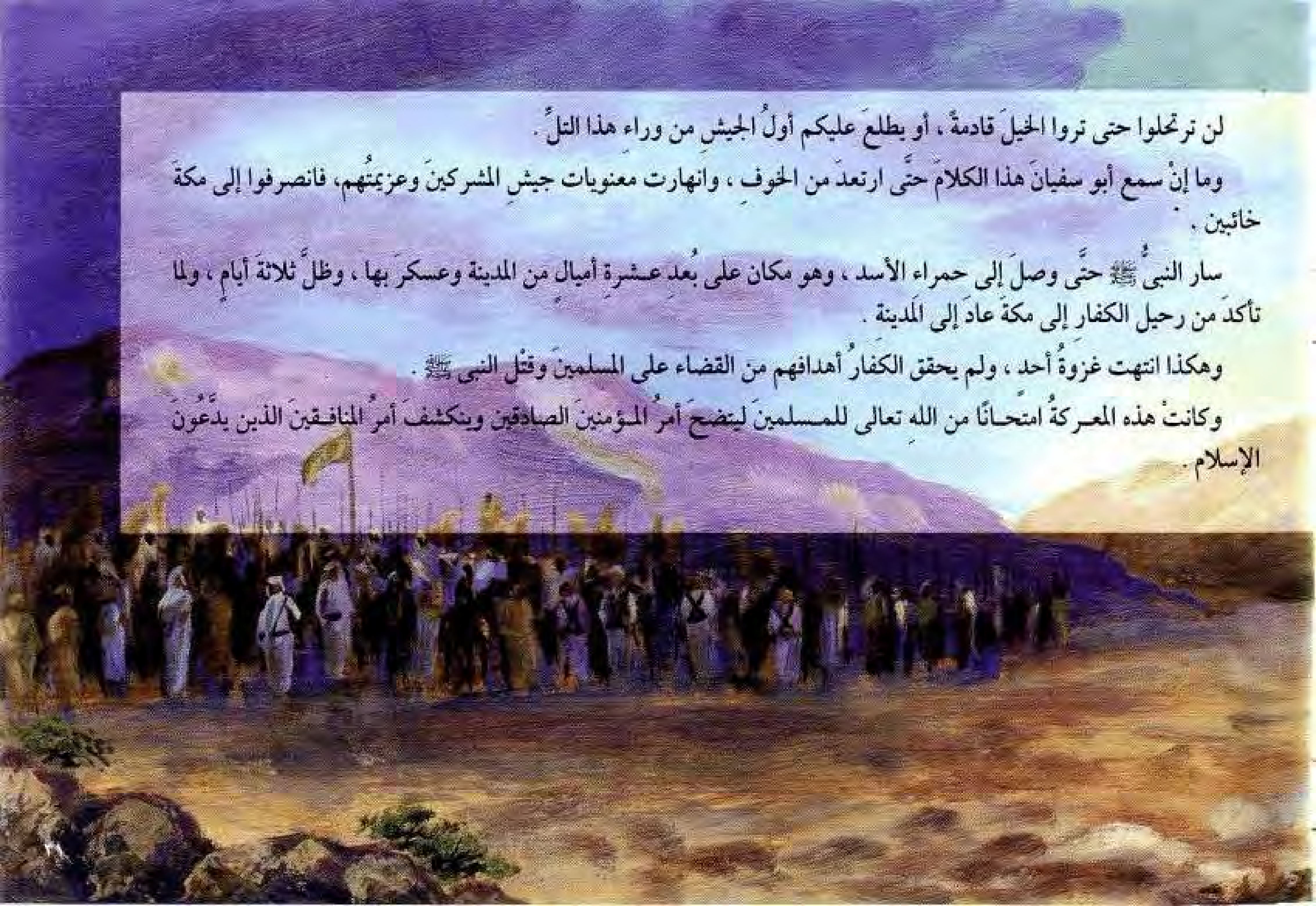


وتتوالى الصورُ البطولية فى تلبية نداء الجهاد ، فيخرجُ عبدالله بن سهل وأخوهُ رافعُ وبهما جروحٌ كثيرةٌ كانا لا يستطيعان المشى بسببها فكان سهلٌ يحمل رافعًا ثم يحملُ رافع سهلا ولما رآهم النبى على ذلك دعا لهما .

ويخرجُ النبى ﷺ وهو مجروح فى وجهه وجبهته ، وكتفه ، وشفته السفلى ، وركبتيه ، ويسيرُ ركبُ المسلمينَ وهم متلهفون إلى لقاء عدوهم يحلمون بالشهادة فى سبيل الله ليفوزوا بالجنة .

ولم يكنْ ما خافهُ رسولُ الله ﷺ من تفكير المشركين فى العودة إلا حقا ، فإنهم لما نزلوا بالروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لام بعضُهم بعضًا وقالوا : لم تصنعوا شيئًا فارجعوا حتى نقضى على المسلمينَ .

وأجمعوا على التحركُ إلى المدينة ، فأقبل عليهم أبو معبد الخزاعىُ وكانَ مسلمًا ولم يعرف أبو سفيانَ بإسلامه فقال له أبو سفيانَ : ماوراءك ؟ قال : خرج محمدٌ فى أصحابه ، يطلبكم فى جيشٍ لم أر مثلَه قط. وأرى أنكم



لن ترتحلوا حتى تروا الخيلَ قادمةً ، أو يطلعَ عليكم أولُ الجيشِ من وراء هذا التلِّ .

وما إنْ سمع أبو سفيانَ هذا الكلامَ حتَّى ارتعدَ من الخوفِ ، وانهارت معنويات جيشِ المشركينَ وعزيمتُهم، فانصرفوا إلى مكةَ خائبين .

سار النبيُّ ﷺ حتَّى وصلَ إلى حمراء الأسد ، وهو مكان على بُعدِ عشرةِ أميالٍ من المدينة وعسكرَ بها ، وظلَّ ثلاثةَ أيامٍ ، ولما تأكدَ من رحيلِ الكفارِ إلى مكةَ عادَ إلى المَدينة .

وهكذا انتهت غزوةُ أحد ، ولم يحقق الكفارُ أهدافهم من القضاء على المسلمينَ وقتلِ النبي ﷺ .

وكانتْ هذه المعركةُ امتحانًا من اللهِ تعالى للمسلمينَ ليتضحَ أمرُ المؤمنينَ الصادقين وينكشفَ أمرُ المنافقينَ الذين يدَّعُونَ الإسلام .



رقم الإيداع: ٨٢١١/ ٩٥ الترقيم الدولى: I. S. B. N.: 977- 261- 430- 8